

ملتقى مغاربي حول: العلاج النفسي

" العلاج النفسي بين التكوين والممارسة "

تنظيم: قسم علم النفس و علوم التربية والأرطفونيا، جامعة الحاج لخضر - باتنة
رئيس الملتقى: د. جيبالي نورالدين

djabali@gmail.com

إشكالية الملتقى

تشهد الجزائر على غرار دول المغرب العربي و سائر بلاد العالم تحولا سريعا ومعقدا في مختلف مجالات الحياة: المادية، النفسية، الاجتماعية، والأخلاقية. وقد أخذ هذا التحول يمتد بجذوره نحو أعماق المجتمع؛ ويعلو بفروعه في أفق القيم، العادات، التقاليد، الخصائص الحضارية والتاريخية في مستوياتها الفردية والاجتماعية الخاصة بهذا المجتمع، ويلقي بظلاله في كل حين على مختلف محددات السلوك وقواعد النظام، حتى أصبح هو السمة التي تكاد تطغى على جميع أحداث الحياة اليومية. ولقد زاد من تعقد هذا التحول ارتباطه في غالب الأوقات بأزمات متعددة تتفاوت في شدتها وخطورتها وعمق تأثيرها وطبيعة آثارها سواء في تناغم بني المجتمع أم اتران شخصيات الأفراد. ولقد رافق هذا التحول وتلك الأزمات في سائر بلاد العالم نقشي اضطرابات نفسية متفاوتة من حيث الحدة والازمان، ومن حيث التعقد والبساطة، ومن حيث الانحسار والانتشار، ومن حيث الاختفاء والتجدد. ولقد تنوعت إلى الحد الذي يصعب فيه على أهل الاختصاص الإحاطة بها واستيعابها.

إن هذا التشعب الذي آلت إليه الاضطرابات النفسية في تلك الدول، فرض عليها بذل جهود جبارة في سبيل الوقاية والعلاج، كما فرض على العلماء والباحثين والمتخصصين عملا دعوبا كان من غاياته تطوير أساليب حديثة لعل ذلك يمكن الجميع من مجابهة تلك الاضطرابات. والمتتبع لكل تلك الجهود يدرك بوضوح كيف كانت بحاجة إلى الدول التي ترعاها من جهة، ومرتبطة بخصائص التغيرات التي تشهدها المجتمعات في تلك الدول من جهة ثانية، ومرتبطة بما تكشف عنه الأبحاث والدراسات من تفسيرات من جهة ثالثة.

ولقد أولت تلك الدول اهتماما بالغا لفهم المرض النفسي وعلاجه والوقاية منه تماما كما أولت اهتمامها لإعداد وتكوين المتخصصين الذين يسهرون على تحقيق تلك الأهداف. وهكذا تطورت أساليب العلاج الفردية سواء السطحية أم العميقة، وتطورت أساليب العلاج الجماعية والعلاجات الاجتماعية، والعلاجات النفسية، والبيونفسية، والسلوكية، والسلوكية الاجتماعية، والمعرفية، والعائلية، والكلية مثل العلاج الجشطالتي والوجودي، وبرز العلاج بالمحادثة، وبرزت كثير من التقنيات الأخرى كالعلاج العقلي، والدلالي، والخبروي، والأولي، وغيرها.

ومسيرة لذلك، تطورت المؤسسات والمراكز التي تعمل بغية مساعدة المجتمع وأبنائه على مقاومة أي اضطراب نفسي أو التخلص منه، أو حتى التكيف معه في بعض الأحيان. وهكذا ظهرت المستشفيات المتخصصة والمراكز المتنوعة التي تهتم بأنواع محددة من الاضطرابات النفسية. ولعل الحدث الأهم الذي ينبغي تسجيله هنا هو بروز العيادات النفسية التي بدأت بشكل محدود في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم تعددت بعد ذلك وتخصصت أكثر فأكثر، وهي لا تزال في تزايد مستمر.

وعند النظر إلى الواقع الذي تعيشه الجزائر، ومن ثم دول المغرب العربي، ومدى انتشار الأمراض النفسية ومختلف اضطرابات السلوك، وجهود هذه الدول التي تبذل من أجل الوقاية والعلاج، ومدى ما توليه من اهتمام من أجل ذلك: سواء فيما يتعلق بإعداد المتخصصين أم فيما يتعلق بإنشاء مؤسسات التكفل والرعاية الضرورية، يدرك الجميع أن ذلك لا يزال في البدايات الأولى، ولا يزال تعثره التقائية وتحيط به مشكلات وتواجهه عقبات تحول بينه وبين التقدم في الاتجاه الصحيح، وبخطوات ثابتة ومدروسة، وهذا على الرغم من أن ذلك التحول الذي تشهده هذه الدول اتسم في الأونة الأخيرة ببعض الآثار التي حفزت اهتمام كل من له علاقة بهذا الشأن ووجهت انتباهه إلى أهمية أساليب الرعاية النفسية في كل من الوقاية والعلاج وفي مقدمة تلك الآثار مثلا:

☞ آثار المأساة الوطنية في الجزائر.

☞ آثار بعض الكوارث الطبيعية.

☞ الآثار الناتجة عن تدهور الأوضاع الاجتماعية... الخ

وكان من نتائج ذلك أن زاد الطلب والإقبال على المتخصصين النفسانيين وزاد الوعي الفردي والجماعي بأهمية الخدمات التي يقدمونها.

إن هذا الاهتمام والإقبال أثار بعض الإشكالات التي ينبغي الإجابة عنها بوضوح وأهمها:

1. هل طبيعة التكوين الذي يتلقاه المختص في علم النفس العيادي يؤهله لتقديم خدمات في مجال العلاج أو الوقاية من الاضطرابات النفسية وترقية الصحة العقلية؟

2. إلى أي مدى يمكن الحديث عن وجود ممارسة للعلاج النفسي في الدول المغاربية؟

3. ما مدى توفر العيادات أو المؤسسات المتخصصة التي تسهم في الخدمات النفسية في الدول المغاربية؟ وإلى أي حد يمكن اعتبارها ناجحة في أداء الدور المنوط بها؟

4. هل تعتمد هذه البلدان استراتيجيات محددة لتلبية الحاجة المتزايدة نحو المختصين في العلاج النفسي والصحة العقلية؟

5. هل هناك إجراءات معتمدة في مجالات الرعاية النفسية والصحة العقلية لتعويض النقص الملاحظ في المؤسسات المختصة؟

6. هل يمكن تطوير آليات جديدة لإعداد كفاءات متخصصة في بعض تقنيات العلاج النفسي تلبية لحاجات المجتمع؟

د. جيبالي نورالدين

رئيس الملتقى

